هنري برجسون : منبعا الأخلاق والدين

تعريب سامي الدروبي وعبد الله الدائم ، طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عدد صفحاته ٢٨٥ من القطع الوسط

كان المترجمون المعاصرون لا يحسنون اختيار الكتب التي يترجمونها ، فينقلون الى اللغة العربية كتباً سهلة لا تلذ مطالعتها الا لجمهور القراء من غير الاختصاصيين . فكان القارئ العربي يظن مثلاً ان أعظم فيلسوف اجتماعي فرنسي هو (غوستاف لوبون) لأن احمد فتحي زغلول وغيره قد ترجموا بعض كتبه ، مع ان (غوستاف لوبون) ليس من علماء الطبقة الأولى . وما أورده في علم الاجتماع والتربية كثير الشكوك . واذا أخذ علم الاجتماع عن (غوستاف لوبون) دون ان يرجع الى ما جاء به (دور كهايم) و (لفي برول) لم يوصل به الى الكمال .

والسبب في ميل المترجمين الى اختيار الكتب السهلة يرجع الى خوفهم من التعب ، او الى عجزهم عن تفهم كتب الاختصاص ، أو الى رغبتهم في الربح المادي والشهرة السريعة . لذلك بقيت كتب لوك وليبنيز وهيجيل و كنت وشوبنهاور وبرجسون مجهولة عندنا . وما نقل الى اللغة العربية من مذاهب هؤلاء الفلاسفة ، خال من الصفة العلمية الحقيقية . حتى ان كبار المترجمين الذين نقلوا بعض كتب أرسطو الى اللغة العربية لم ينقلوها عن اليونانية بل عن الفرنسية .

أما السيدان سامي الدروبي وعبد الله الدائم فقد أحسنا الاختيار ونقلا كتاب منبعي الأخلاق والدين الى اللغة العربية بكل أمانة علمية . ومع ان بعض عبارات ترجمتها لا تخلو من الغموض ، فانها لم يخرجا بالجملة عن الأصل . حتى لقد أدت رغبتها في المحافظة على الأصل الى ضياع قسم كبير من سحر الاسلوب البرجسوني .

وقد صدرا الكتاب بمقدمة عامة مشتملة على مذهب (برجسون) في الابداع والديمومة ووثبة الحياة . وذكرا كيف انتهت الفلسفة البرجسونية الى البحث في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأخلاق ، وكيف أتم هذا الكتاب الجديد مذهب برغسون في الخلق الدائم والزمان والتطور . فقد فرق فيلسوف الحدس في كتاب الزمان والحرية بين المكان والزمان ، وفي كتاب المادة والذاكرة بين الادراك المحض والذاكرة المحضة ، وفي كتاب التطور المبدع بين العقل والغريزة ، كما ميز في كتاب منبعي الأخلاق والدين الأخلاق « المغلقة » من الاخلاق « المفتوحة » .

وفي المقدمة شرح صحيح لمذهب (برجسون) في الأخلاق حاول المترجمان أن يحتفظا فيه بعبق من نفحات برجسون وسحر أسلوبه وشذا صوفيته . إلا أنهما حاولا كغيرهما من المؤلفين ان يرتبا مبادئ برجسون ، ويبينا تسلسلها بعضها من بعض . فمما جاء في المقدمة قولها : « ان الدين والأخلاق من التوق والاندفاع ، والتوق والاندفاع من الانفعال المبدع والعاطفة الحرى ، والانفعال والعاطفة من التوازن والحركة ، والحركة من الديمومة ، والديمومة من الوثبة الحيوية » (ص — ٨) . فكأن المترجمين يعتقدان ان الفكرة الأولى في فلسفة (برجسون) هي الوثبة الحيوية ، وان الديمومة مشتقة منها ، مع ان (برجسون) صرّح غير مرة بأن الديمومة هى الفكرة المركزية في فلسفته كلها . وما المادة والحياة والنفس إلا ظواهر مختلفة لجوهر واحد هو الديمومة ، حتى لقد ذهب بعضهم الى ان الديمومة عنده هي الله .

ومهما يكن من أمر فان تعريب هذا الكتاب يدل على اتجاه جديد في الترجمة لم يكتف صاحباه بنقل كتاب سهل لا قيمة له ، بل استسهلا الصعب وعزما على ترجمة كتب برجسون كلها ككتاب الزمان والحرية ، وكتاب التطور المبدع ، وكتاب الضحك ، وكتاب المادة والذاكرة . فاذا تم لها ذلك اضافا الى لغتنا العربية ثروة فكرية جديدة هي في أشد الحاجة اليها .

جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net